مهام الولاة في العصر الأموي
والي المدينة، مروان بن الحكم أنموذجا
(41-57هـ/661-677م)

حمزة يونس

- طالب دكتوراه- جامعة الجزائر2

تاريخ الارسال: 2017-10-21 / **تاريخ القبول:** 2018-05-13 / **تاريخ النشر:** 2020-01-30.

- **الملخص:**

تتناول الدراسة مهام الولاة في العصر الأموي، بالتركيز على مهام مروان بن الحكم والي المدينة في الفترة ما بين 41-49هـ/661-669م و54-57 هـ /674-677م، إذ نجدها متنوعة مثل إمرة الحج، وتعيين القاضي وصاحب الشرطة وعمّال البلاد الداخلية وعرفاء القبائل، وجمع زكاة الأموال، والفصل في النزاعات والخصومات، وإمامة الناس في الصلوات، ومحاربة اللصوص وقطاع الطرق، وتطبيق الحدود، وأخذ البيعة لولي العهد. أي لم تقتصر هذه المهام على الجانب الإداري السياسي، ونتيجة لذلك تمتّع والي المدينة بمكانة كبيرة مقارنة بغيره من ولاة الأمصار.

- **الكلمات المفتاحية:** الولاة – مروان بن الحكم – المدينة – الأمويون.

مقدمة

تُعدّ المدينة عاصمة أولى للدولة الإسلامية، إذ كانت مقر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده حتى زمن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي نقل العاصمة إلى الكوفة عام36 هـ /656م.

وفي عهد الدولة الأموية أصبحت المدينة ولاية من ولاياتها، وذات أهمية كبيرة، إذ أولاها الخلفاء عناية خاصة، حيث كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ينتقي لها أحسن الولاة من البيت الأموي نفسه، أمثال مروان بن الحكم الذي تأمّر عليها لمرتين، من 41-49 هـ /661-669م، ومن 54-57 هـ /674-677م.

كانت فترة ولايته الأطول في عهد الخليفة معاوية رضي الله عنه، مما يدلّ على الثقة الكبيرة التي يحظى بها لدى الخليفة، وعليه نطرح التساؤلات الآتية:

- ما هي مهام التي اضطلع بها والي المدينة مروان بن الحكم؟
- هل كانت مهامه مطلقة أو مقيدة من طرف الخليفة؟
- هل اقتصرت هذه المهام على الجانب السياسي والإداري؟ أم تعدته إلى جوانب أخرى؟

1- إمرة الحج:

حجّ والي المدينة مروان بالناس عدّة مرات[1]، والملاحظ أن هذه المهمة أُوكلت لوالي المدينة دون والي مكة بالرغم من وجود المشاعر المقدسة بها، ولعل ذلك استرضاء لأهل المدينة أو اتباعاً للسنة المعمول بها منذ صدر الإسلام واستكمالاً لإعطاء والي المدينة كل المهام الدينية[2].

2- إمامة الناس في الصلوات:

كان مروان يؤُمّ الناس في الصلوات الخمس[3]، وصلاة الجمعة[4]، وصلاة العيدين[5]، وصلاة الجنازة[6]. والقيام بهذه المهمة يتطلّب إلماماً واسعاً بالفقه، وهو ما كان يتميز به مروان الذي كان يعدّ من الفقهاء المفتين من الطبقة التي تلي الصحابة[7].

ونشير إلى أن مروان إذا خرج للحجّ يستنيب عنه الصحابي أبا هريرة رضي الله على المدينة[8]، فيصلي بالناس الصلوات الخمس[9]، ويخطب الناس في الجمعة[10]، وصلاة الجنازة[11]، ويقضي في الخصومات[12].

3- جمع زكاة الأموال:

كلّف مروان مجموعة من الأشخاص لجمع زكاة الأموال من أصحابها، مثل همام بن مطرف عامل صدقات بني عامر[13]، وعمر بن عبد الرحمن بن عوف عامل صدقات بني كعب وقشير وجعدة والحريش[14]، والحارث بن حاطب عامل صدقات بني عمرو وبني حنظلة[15]. أي لم تقتصر المهمة على المدينة فقط بل تجاوزتها إلى الأقاليم الإدارية التابعة لها.

وأسند مهمة تقدير غلّة النخيل لأخذ زكاتها لسهل بن أبي حثمة[16]، وعيّن الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه مسؤولاً عاما عن الزكاة[17]، حيث يتولى قسمة ما جُمع على مستحقيها تحت إشراف الوالي نفسه.

وفي هذا السياق، كان مروان يُشرف بنفسه على عملية تسجيل أصحاب العطاء في الدفتر المخصص له[18].

4- تعيين القاضي وصاحب الشرطة:

تولّى عبد الله بن الحارث بن نوفل القضاء في المدينة لمروان في ولايته الأولى[19]، وفي المرة الثانية جمع الوالي القضاء والشرطة لمصعب بن عبد الرحمن بن عوف الذي اشتدّ على الناس[20].

يُضاف إليهم الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه الذي شغل منصب القاضي مدة من الزمن[21].

5- تعيين عمّال البلاد الداخلية:

لم تقتصر سلطة مروان على المدينة فحسب بل تعدتها إلى مكة والطائف[22]، وكانت تخضع له القبائل المستوطنة في هذه المنطقة، أي والي الحجاز.

ومن عمّاله على الأقسام الإدارية التابعة له نذكر: أسيد بن ظهير رضي الله عنه عامل اليمامة[23]، ودجاجة بن ربعي عامل وادي القرى[24].

6- تعيين عرفاء القبائل:

كان لكل قبيلة في المدينة عريف، يأخذ أعطياتهم التي يرسلها الخليفة معاوية رضي الله عنه إليهم، فيوزعونها على أهلها[25]، وهؤلاء يُعينهم الوالي ويعزلهم، ونذكر منهم الصحابي رافع بن خديج رضي الله عنه عريف بني النجار[26].

7- أخذ البيعة لولي العهد:

يُعدّ الخليفة معاوية رضي الله عنه أول من سنّ النظام الوراثي في الإسلام، بمبايعة ابنه يزيد بولاية العهد، وأرسل إلى ولاته على الأمصار لأخذها من الرعية عام55ه/675م[27].

وصل كتاب الخليفة إلى والي المدينة مروان بن الحكم، فجمع الناس وقرأ عليهم ما جاء فيه، وطلب منهم مبايعة يزيد وحثّهم عليها[28]، لكن نفراً من أبناء الصحابة – مثل عبد الرحمن بن أبي بكر– رفضوا الأمر، فأرسل مروان إلى الخليفة يخبره بموقفهم[29].

7- الفصل في النزاعات والخصومات:

ذكرنا سابقاً أنه كان بالمدينة قضاة للفصل بين الناس في خصوماتهم، لكن ذلك لم يمنع مروان من مباشرة الأمر بنفسه، والجلوس للفصل بين الخصوم.

شكت إليه أروى بنت أويس رضي الله عنها زوجها سعيد بن زيد رضي الله عنه، وادّعت أنه أخذ جزءا من أرضها ظلماً، فقضى بينهما[30].

وتخاصم إليه زيد بن ثابت رضي الله عنه وعبد الله بن مطيع في دارٍ كانت بينهما، فقضى أن يحلف زيد يميناً على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم[31].

وادّعى بنو صهيب الرومي رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى أباهم بيتين وحجرة، فطلب منهم الشهود، فشهد لهم عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فقضى لهم بذلك[32].

لم يقتصر قضاء مروان على المدينة فقط بل نجده يقضي بين بطون القبائل العربية، مثل النزاع بين بني قطن وبني جندل الدارميين في قتال وقع بينهما[33]، وخصومة بني فقيم وبني عبشمس وبني كعب في أرض بينهم[34]، وتنازع بني نمير وغنيّ بسبب جريمة قتل عن طريق الخطأ[35]، وبني خفاجة وبني عوف بن عقيل في قتالهما وقد سقط فيه قتلى[36].

8- تطبيق الحدود:

كان مروان إذا جاء واليًا على المدينة أول عمل يقوم به إقامة الحدود من قطع وضرب وصلب دون أن يغيّر ملابسه التي أتى بها، ثم يذهب إلى منزله[37]، وهذا يدل على شدّته في تطبيق الحدود، وشهد له بذلك الخليفة معاوية رضي الله عنه نفسه حين سُئل عنه فأجاب: ((... وأمّا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، الشديد في حدود الله مروان بن الحَكَم...))[38].

حدّ مروان مجموعة من أشراف قريش في الخمر مثل محمد بن أبي بكر، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وابن أبي عتيق[39] عبد الرحمن بن سيحان[40] – حليف بني أمية–.

وحدّ أخاه عبد الرحمن في افترائه على الأنصار[41]، وحدّه مع عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بسبب المهاجاة بينهما[42].

وسمع أن مخنثاً يدعى النغاشي لا يقرأ القرآن، فأرسل إليه، ولما وقف بين يديه وسأله عن الأمر، استهزأ بالقرآن فأمر بضرب عنقه[43]، مما يُؤكّد شدّته في دين الله.

ومما يذكر في هذا الموضوع شدته على أهل اللهو والمجون، إذ كانوا يهربون من المدينة في فترة ولايته[44]، ومنع صاحب شرطته مصعب بن عبد الرحمن بن عوف التجول ليلاً زجراً لأصحاب المغامرات الليلية، حتى قال الشاعر ابن قيس الرقيات[45]:

حَالَ دُونَ الهَوَى ودُو نَ سُرَى اللَّيلِ مُصعَبُ

وسِياطٌ على أَكُـــ فِّ رجالٍ تُقَلَّـــــبُ

وقام بتطهير المدينة من المخنّثين، إذ جعل مكافأةً قدرها عشرة دنانير – وهو مبلغ معتبر حينها– لمن يأتيه بمخنّث، مما اضطرهم للهرب[46]، مثلما حدث مع طويس المخنّث الذي مات بعيداً عن المدينة – نتيجة هذه المطاردة– بعد أن عاش فيها زمناً طويلاً[47].

جعلت هذه الإجراءات الرّدعية الناس في المدينة يعيشون في أمن وسكينة، بعد أن كانوا في حالة من الخوف وانعدام الأمن لاستفحال خطر اللصوص، لدرجة أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها اتّخذت خنجراً لحماية نفسها منهم وذلك خلال ولاية سعيد بن العاص رضي الله عنه[48]– بين ولاية مروان الأولى والثانية–.

9- محاربة اللصوص وقطاع الطرق:

لم يتوان مروان في بذل كافة جهوده للقضاء على هؤلاء المفسدين، خاصة في بادية نجد والحجاز، طيلة فترة ولايته، لتخليص الناس من شرورهم.

ونذكر من هؤلاء عصابة مالك بن الريب المازني، الذي كان يقطع الطريق مع شِظاظ الضبّي وأبي حردبة[49]، وامتدّ نشاطهم إلى مكة[50].

وقد تأذى الناس من أفعالهم كثيرا، فتدخّل الأمير مروان لوضع حدّ لشرورهم، وكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي عامله على بني عمرو بن حنظلة بالقبض عليهم، فهربوا منه[51].

ضيّق عليهم الحارث الخناق، وجدّ في طلبهم، فاستطاع الإمساك بمالك وأبي حردبة، لكنهم قتلوا أعوانه وفرّوا نحو البحرين ومن ثمّ إلى فارس[52]، وهناك توفي مالك بن الريب إثر مرض ألمّ به[53].

إذن، ساهم الأمير مروان في إنهاء خطر مالك بن الريب، فمطاردته له أرغمته على مغادرة شبه الجزيرة العربية نهائيا إلى بلاد فارس حتى مات هناك، ومن جهة أخرى نلاحظ تحولا جذريا في حياة مالك، إذ أصبح جنديا في جيش الفتوحات، ربما تكفيرا عن الأفعال السيئة التي كان يقوم بها سابقا.

ومما يذكر في هذا الموضوع، القتّال الكلابي وكان كثير الجنايات سريعا إلى السيف ولذلك تخلّت قبيلته عن حمايته، وهو ذو نفس شريسة يحتقر قبول الدية في العلاقات العدائية ولا يرى شيئا دون الثأر[54].

يمثّل القتّال الكلابي صورة متطرفة لمقاومة كل ما سنته الدولة من تنظيمات، كما يمثل الثورة على الاستقرار، ومثل القتال أفراد آخرون كانت تطاردهم الدولة وهم يؤثرون حياة اللصوصية والتمرد والفتك[55].

الحادثة التي جعلت القتّال مبحوثاً عنه هي قتله ابن عمّه، فطلبه الأمير مروان وخصّص جائزة مالية معتبرة لكل من يعرف مكانه[56]، فاضطره الأمر إلى الرحيل عن موطن قبيلته نحو البرّية مُختفيا في أحد شعابها[57].

تمكّن رجال الأمير مروان القبض عليه بعد فترة طويلة من البحث، وسُجن بالمدينة مدة من الزمن، واستطاع الفرار بعد أن قتل السجّان[58].

يظهر لنا مدى حرص الأمير على ردع هؤلاء اللصوص والمجرمين، ومطاردته لهم مهما طال الزمن حتى يقبض عليهم ويُخلّص الناس من شرورهم.

أمّا أبو النشناش النهشلي التميمي، فقد تزعّم مجموعة من العرب يقطع بها طريق الحجاج بين الشام والحجاز، وتمكّن أحد عمّال مروان من القبض عليه وسجنه مدّة من الزمن، لكنه استطاع الهرب[59].

وُفّق مروان إلى حدّ كبير – مثل ما حصل مع مالك بن الريب – في الحدّ من خطر هؤلاء المفسدين، وإراحة الناس من شرورهم، ونشر الأمن في المنطقة، وتأمين الطرق الرابطة بين الحجاز والعراق من جهة، والحجاز والشام من جهة ثانية.

خاتمة

مما تقدّم ذكره، يتّضح لنا أن مهام والي المدينة مروان بن الحكم متنوعة، بين الدينية والإدارية والقضائية والأمنية والاقتصادية، وهو ما اضطره للاستعانة بمجموعة من الرجال لتنفيذها على أحسن وجه، وتحقيق النتائج المرجوة.

كان لمروان صلاحيات واسعة منحها له الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مقارنة بغيره من ولاة الأمصار، نظراً للمكانة الكبيرة التي تحتلها المدينة وأهلها في المجتمع الإسلامي.

إن المهام التي اضطلع بها مروان تعبّر عن الثقة الكبيرة التي وضعها الخليفة فيه، ومعرفته بإخلاصه وتفانيه في خدمة السلطة الحاكمة بدمشق.

الهوامش:

[1]- وذلك في سنوات: 43، 45، 48، 54، 55 من الهجرة النبوية. أنظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010، مج2، ص151-152.

[2]- آل الشيخ، نورة بنت عبد الملك، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر الأموي 41-132ه/661-749م، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جدّة، 1986، ص228-229.

[3]- النسائي، أحمد بن شعيب، المجتبى، تخريج وترقيم وضبط صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2005، ص252.

[4]- القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، إخراج وتنفيذ فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998، ص537.

[5]- المصدر نفسه، ص342.

[6]- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ج2، ص440.

[7]- ابن حزم، علي بن أحمد، أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص143.

[8]- ابن سعد، محمد، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ج5، ص253.

[9]- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن تركي، دار هجر، الجيزة- مصر، 1998، ج11، ص378.

[10]- ابن سعد، المصدر السابق، ج5، ص253-254.

[11]- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989، ج4، ص249-250.

[12]- العسكري، الحسن بن عبد الله، الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، دار البشير، طنطا - مصر، 1987، ص406-407.

[13]- ابن حبيب، محمد، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص257.

[14]- الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، ط3، دار صادر، بيروت، 2008، ج2، ص13-14.

[15]– الزبيري، المصعب بن عبد الله، نسب قريش، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص395.

[16]– ابن زنجويه، محمد، الأموال، تحقيق ذيب فياض، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1986، ج1، ص1074.

[17]– ابن حنبل، أحمد، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت. ن، ج17، ص258.

[18]– البلاذري، أحمد بن يحي، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1996، ج6، ص262.

[19]– وكيع، محمد بن خلف، أخبار القضاة، مراجعة محمد سعيد اللحام، عالم الكتب، بيروت، د. ت. ن، ج1، ص80.

[20]– المصدر نفسه، ج1، ص83.

[21]– المصدر نفسه، ج1، ص80.

[22]– ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص124.

[23]– ابن حنبل، المصدر السابق، ج29، ص507.

[24]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج8، ص79.

[25]– الزبيري، المصدر السابق، ص154.

[26]– التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد، المحن، تحقيق يحي وهيب الجبوري، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ص244.

[27]– ابن أعثم، أحمد، الفتوح، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1991، ج4، ص332.

[28]– البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998، ص948.

[29]– ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج5، ص120.

[30]– مسلم، المصدر السابق، ص657.

[31]– ابن أنس، مالك، الموطأ، تحقيق أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي، مجموعة الفرقان التجارية، دبي، 2003، مج3، ص541-542.

[32]– البخاري، المصدر السابق، ص496.

[33]– الغندجاني، الحسن بن أحمد، فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، تحقيق محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، 1981، ص190، 196.

[34]– البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د. ت. ن، ج4، ص1163–1164.

[35]– الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، أمالي الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987، ص181–182.

[36]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج11، ص145، 148.

[37]– ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1997، ج57، ص243.

[38]– أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص300.

[39]– ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1985، ص397.

[40]– ابن عساكر، المصدر السابق، ج34، ص179

[41]– ابن حبيب، المنمق، المصدر السابق، ص397.

[42]– ابن بكار، الزبير، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1996، ص219، 221.

[43]– الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1969، ص355.

[44]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج17، ص201.

[45]– ابن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج1، ص290.

[46]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج3، ص23.

[47]– المصدر نفسه، ج3، ص24.

[48]– الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج4، ص72.

[49]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج22، ص201.

[50]– ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د.ت. ن، ج1، ص341.

[51]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج22، ص202.

[52]– ابن حبيب، المصدر السابق، ص230.

[53]– البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ج2، ص210–211.

[54]– عباس، إحسان، ديوان القتّال الكلابي، دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص17–18.

[55]– المرجع نفسه، ص10.

[56]– ابن حبيب، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د. ت. ن، ص228–229.

[57]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج24، ص92–93.

[58]– ابن حبيب، المحبر، المصدر السابق، ص227–228.

[59]– الأصفهاني، المصدر السابق، ج12، ص121.